خُـفُـوتٌ

خَفَتَ العشقُ المتأرجِحُ بيننا ، وانزوتْ الفراشاتُ ، والزُّهُورُ، والأغاني وتَمَدَّدْنَ متثائباتٍ ثُمَّ غطَّيْنَ أنفسَهُنَّ بغطاءٍ ثقيلٍ حَجَبَ الضَّوْءَ عن عَيْنَيْ حبيبي ، وحال بيننا وبين الشغفِ ليعودَ إلينا متهادياً كعادتِهِ في كلِّ مرَّةٍ نفترقُ فيها . نامتْ الفراشاتُ كلُّهنَّ إلا فراشةً واحدةً اجتاحها الجموحُ ، وراوغها الغموضُ فظلَّتْ تطوفُ بين الرُّبُوعِ كلِّها ، وتَسْتَوْطِنُ الأصقاعَ جميعَها ، وراحتْ تتراقص في الحقول ، وعلى أسطحِ الجبالِ ثم تعودُ وقد جَمَعَتْ المدى ألواناً على جناحيها وأومأتْ- لي ولحبيبي – هامسةً.. : هناكَ احتمالاتٌ كثيرةٌ للفراق ، هناك الندمُ ، وهناك العذابُ ، والرجوعُ والبكاءُ وهناك أيضاً النسيانُ، و الانتقامُ، والصَّمْتُ . اختار حبيبي الصَّمتَ، واخترتُ البُكاءَ...! صَمَتَ حبيبي وولجَ أنفاقَ الصَّمْتِ المتشعبةِ والغارقةِ بملايينِ اللُّغاتِ الحيةِ بعدما ضاق ذَرْعَاً بفوضى التيهِ، وبعطشِ اللِّهاثِ على عتباتِ الوَطَنِ الصاخبِ باللاجدوى ...! وبكيتُ أنا – بكيتُ بحنينٍ وهدوءٍ – لَم أكنْ أبكي حُرْقةً ولا لوعةً ولا اشتياقاً بل بكيتُ طمأنينةً للفراقِ . وتَلَصَّصَتْ الفراشةُ علينا وعَرَفَتْ عنَّا... فنقلتْ الفراشةُ حالي إليهِ، وحالَهُ إليَّ... فرجَعْنَا - أكثرَ وجداً ولهفةً - إلى بعضِنَا – نستنطقُ الأغاني ، ونزرع الزهورَ، ونلملمُ الفراشاتِ.... زرعنا أنواعاً شَتَّى من الزُّهورِ، وكتبنَا أغاني غيرَ الَّتي كانتْ تُغَنَّى منْ قبْل . ولَمْلَمْنَا فراشاتٍ أخْرى كانتْ تطوفُ في المداراتِ البعيدةِ ، لَكِنَّنَا حينَ العودةِ وجدنَا الاحتمالاتِ أكثرَ ازدحاماً وعُهْرَاً ، والضَّوْءَ أكثرَ خُفُوتاً وعتمةً ، والفراشاتِ وقد احترقْنَ كُلُّهُنَّ وصِرْنَ رَمَادَاً تذرُوه الدُّمُوعُ . ...!! فافترقنَا – صامِتَيْنِ باكيَيْنِ على غيرِ هُدَىً ولا عودةٍ – ولم تَعُدْ بنا قوةٌ نعاندُ بها احتمالاتِ الانتقام بركلةِ حذاءٍ لقلبِ الوطنِ، ولا بإشعالِ النَّارِ في جَسَدِ النَّدمِ ...!